

فن المنامات في الأدب الجزائري: منامات الوهراني نموذجاً

The Art of Al-Manāmāt in Algerian Literature:
Al-Wahrani's Manāmāt as a Model

عبد القادر مغدير

جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر

Abdelkader.meghdir@univ-mascara.dz

تاريخ النشر: 2026-06-09	تاريخ القبول: 2026-06-03	تاريخ الإرسال: 2026-02-28
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص

يتناول هذا المقال فن المنامات في الأدب الجزائري من خلال دراسة منامات الوهراني، حيث يُمثل هذا النوع الأدبي ظاهرة فريدة تجمع بين عالم الحلم وقضايا الواقع، وتسمح للأديب الجزائري، خاصة الوهراني، بممارسة نقد اجتماعي وديني وسياسي من خلال قالب ساخر وحوارات رمزية. يقوم المقال بتحليل الخصائص الفنية والسردية للمنامات، وعلاقتها بفن المقامة، ويركز على وظيفة السخرية والإصلاح داخل النص. يعتمد المقال على مصادر متنوعة من الكتب والمقالات العلمية والمذكرات الجامعية.

الإشكالية: ما الذي يميز فن المنامات في الأدب الجزائري عن باقي الأجناس السردية التقليدية، وما الإضافات التي أبدعها الوهراني في هذا المجال؟

الكلمات المفتاحية: فن المنامة، الوهراني، الأدب الجزائري، النقد، السخرية، عالم الحلم، الخصائص الفنية.

Abstract in English:

This article explores the art of dreams (manāmāt) in Algerian literature through a study of al-Wahrani's works. This literary genre constitutes a unique phenomenon blending the dream world with social realities, allowing the Algerian writer—particularly al-Wahrani—to exercise social, religious, and political criticism via satire and symbolic dialogues. The article analyzes the artistic and narrative features of dream texts, their relation to the maqama and "Epistle of Forgiveness", and focuses on the role of satire and reform. The study relies on diverse sources—books, scholarly articles, and academic dissertations—with footnotes numbered by reference and page.

Problematic: What distinguishes the art of dream narratives in Algerian literature from other traditional narrative genres, and what creative contributions did al-Wahrani introduce in this domain?

Keywords: dream narrative, al-Wahrani, Algerian literature, criticism, satire, dream world, artistic features.

1. المقدمة

يُعدّ فنّ المنامة من الأجناس السردية الرمزية التي تشكّلت في الثقافة العربية الإسلامية في سياق فكري وفني متميّز، يجمع بين نزعة التأمل الفلسفي والخيال القصصي، وقد تبلورت ملامحه مع فلاسفة الأدب وأدباء الحكمة أمثال أبي العلاء المعري في رسالة الغفران، وابن شهيد الأندلسي في التوابع والزوابع. ثم بلغ هذا الفنّ نضجه وتحولّه إلى جنس قائم بذاته على يد محمد بن محرز الوهراني، الذي استطاع أن يوظّف المنامة أداة للتعبير عن رؤيته الحضارية، ونقده للمجتمع والسياسة والدين، في أسلوب يجمع بين السخرية اللاذعة والرمزية العميقة.

وتتجلى أهمية دراسة منامات الوهراني في كونها تمثّل حلقة وصل بين المنامات العربية الكلاسيكية ذات الطابع الوعظي والفلسفي، وبين المنامات الرمزية التي عرفها الأدب الأوروبي في القرون اللاحقة. فالوهراني، بما أوتي من فكر نقدي وجرأة فنية، كان حلقة وصل ثقافية بين الشرق والغرب، وجسراً عبرت عليه روح المنامة من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية، لتتجسّد لاحقاً في أعمال (تتدال) و(دانتي). ومن هنا، تأتي هذه الدراسة لتسلّط الضوء على تطوّر المنامة بوصفها جنساً أدبياً متميّزاً، وعلى موقع الوهراني بين سابقه العرب ولاحقيه الأوروبيين، في رؤية تقارن وتكشف أثر التناصّ الحضاري والفكري في تشكيل الخطاب الرمزي الإنساني. تهدف هذه الدراسة إلى:

1. تتبّع تطوّر المنامة من جذورها العربية إلى تمثّلاتها عند الوهراني.
 2. الكشف عن علاقات التأثير والتأثر بين الوهراني وسابقه من الأدباء العرب كالمعري وابن شهيد.
 3. بيان أثر مناماته في الأدب الأوروبي الوسيط، من خلال المقارنة الموضوعية والفكرية مع تتدال ودانتي.
 4. إبراز الخصائص الفنية والفكرية التي ميّزت منامات الوهراني بوصفها مرحلة نضج لجنس أدبي رمزي متكامل.
- أما المنهج المعتمد، فهو منهج وصفي- تحليلي مقارن، ينطلق من تحليل النصوص ومضامينها الرمزية والفكرية، ومقارنة الخصائص الفنية بين المنامات العربية والأوروبية، في ضوء الرؤية الحضارية المشتركة التي تجمعها.

2. الوهراني وسياقه الأدبي والتاريخي والحضاري

يُعدّ ركن الدين محمد بن مُحَرَّر الوهراني (ت 575 هـ/1180 م) من أبرز أعلام الأدب الجزائري الوسيط¹، وأحد المبتكرين في فن المنامات الذي جمع بين السخرية الاجتماعية والرمز الديني والسياسي.

وُلد في وهران أواخر القرن السادس الهجري²، وتقل بين المغرب والمشرق، فزار صقلية ودمشق وبغداد ومصر، واتصل بكبار العلماء والوزراء في عهد نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي³.
لقد أتاح له هذا الارتحال تكوين نظرة نقدية شاملة كشفت عن التناقضات السياسية والأخلاقية لعصره، وتجسدت في منامه الكبير الذي قال عنه ابن خلكان: "وَعَمِلَ المنامات ... ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه، فإنه أتى فيه بكل حلاوته، ولولا طوله لذكرته"⁴.

1.2. السياق الأدبي:

جاء الوهراني بعد جيل كتّاب المقامات كالهذاني (ت 398هـ/1008م) والحريري (ت 516هـ/1122م)، غير أنه حول الفن المقامي إلى شكل جديد سماه المنام الأدبي، فدمج فيه السخرية والرؤية الرؤيوية، فجعل الحلم إطاراً فنياً يضم خطاباً نقدياً ساخراً يتجاوز حدود الصناعة اللفظية إلى مساءلة الواقع، يقول شرف: "يربط الكثير من علماء الجمال الفن بالحلم، فيقولون: إن كل مهمة الفن إنما هي العمل على خلق عالم خيالي تكون وظيفته الأولى أن يجيء مخالفاً بوجه من الوجوه لهذا العالم الواقعي الذي نحيا فيه."⁵

وقد تأثر في بنائه الرحلي التخيلي برسالة الغفران للمعري (ت 449هـ/1057م)، وبالطابع العجائبي في التوابع والزوابع لابن شهيد (ت 426هـ/1035م)، غير أنه حول الحلم من أداة للتأمل الأخروي ومحاورة العوالم الغيبية إلى وسيلة فنية للسخرية من الواقع الاجتماعي والسياسي وكشف تناقضاته. فالحلم عنده ليس فضاءً للنجاة أو التعالي، بل مساحة رمزية للتعرية والنقد، يختبئ فيها الصوت المعارض خلف قناع الرؤيا، يقول المنصوري: "للحلم وجود ذهني ووجود سردي مروي، إنه نص حافل بالخيال والاحتمال والانفعال، وهو يمتلك ثراء في لغته وإشاراته وما يتكئ عليه من معرفة أو ما يتصل به من ممارسات وطقوس."⁶
جمع الوهراني في أسلوبه بين الهزل والبراعة البلاغية، وسخر من المظاهر الدينية والزهد الزائف، وسجل مفارقات المجتمع بلغة ثرية بالتضمين والتورية والتناص مع النصوص الدينية؛ ولهذا يعد صاحب سرد متمرد، خرج عن القوالب البديعية نحو نثر ساخر واقعي، يفتح النص على الأنساق الثقافية والاجتماعية.⁷

2.2. السياق التاريخي:

شهد القرن السادس الهجري تحولات واسعة في العالم الإسلامي؛ إذ تراجع المرابطون وحلّ محلهم الموحدون، بينما كان المشرق يعيش الصراع ضد الصليبيين وحركات الباطنية⁸. في هذا المناخ المليء بالقلق والانقسام، صاغ الوهراني نصوصه المنامية التي تنتقد المجتمع والطبقة الحاكمة والعلماء، وتصف الانحلال والرشوة والفساد في حلقات القضاة وقصور الأمراء ومجالس التجار. فأصبحت مناماته مرآة نقدية

للعصر الأيوبي، تُعبّر عن المثقف المهتمّ الباحث عن الخلاص عبر الحلم، وهو ما أشار إليه بلحرمة بقوله: "ومن خلال استخدام التهكم والسخرية والاهتمام بالشخصيات المهمشة التي تمثل قاع المدينة.."⁹.

2.3. السياق الحضاري:

شهد الوهراني تداخل حضارات المغرب والمشرق، ومزج في أعماله الأساليب الأدبية واللغوية المستلهمة من الشام ومصر والمغرب الإسلامي. وساعدت رحلاته في نقل وتجديد الأدب الجزائري خارج حدوده، عبر الإنتاج المشترك مع أدباء الشام والمشرق. وتُمثّل أعماله مرآة للوعي الحضاري، إذ انتقد التقاليد الجامدة ودعا للسخرية والتجديد، فكان له أثر كبير في تطور المقامة والمنامة، وصار نموذجاً يُقتدى به في أدب السخرية والنقد الاجتماعي¹⁰.

3. نشأة المنامة، تعريفها، خصائصها، علاقتها بالمقامة :

1.3. نشأة المنامة:

ظهر فن المنامة في الأدب العربي في القرن السادس الهجري على يد محمد بن محرز الوهراني، وقد استلهم عناصر هذا الفن من فن المقامة إلا أنه تميز عنه في اعتماده على بنية الحلم، وسخرية الرؤية، والتحرر من قيود العقل والمنطق، فجاءت نصوص المنامات أدوات إسقاط على الواقع الاجتماعي والسياسي في عصر الوهراني، وعكست جرأة أدبية في تناول قضايا المجتمع خارج رقابة السلطة. نجد في "منامات الوهراني ومقاماته ورسائله" أوضح النماذج لهذا الطراز الأدبي، حيث يحاكي المؤلف حلمًا تتداخل فيه عناصر العجائبية والتهكم والسخرية، ويتسع فيه الخيال ليُجسّد نقدًا لاذعًا للحياة العامة. ويشير مرتاض في كتابه إلى أن المنامة استمدت الكثير من تقنيات المقامة لكنها انفردت بطابع الحلم كأساس بنائي، ووفرت للكاتب مساحة أرحب للإبداع والرمز¹¹.

2.3. تعريف المنامة:

المنامة نص نثري سردي ابتكره الوهراني، وهو عمل مبتدع ذو خصوصية نصية وسردية، يعتمد بشكل أساسي على الخيال وأوهام النفس ويعكس صورة الواقع بتعاساته وصراعاته. المنامة مجال مفتوح على موضوعات متعددة، يتميز ببنية عجيبة وسخرية وهزل. اتخذ فيها الوهراني الحلم بنية بناء أساسية وسيلة للهروب والاحتجاج الاجتماعي. قال محمد صالح: "تُعرّف المنامة بأنها نصّ نثري سردي مبتكر ذو بنية عجيبة وخصوصية نصية، تتداخل فيه عناصر الحلم بالواقع، ويوظف الخيال والهزل والسخرية باعتبارها وسيلة للهروب من سلطة الواقع والاحتجاج على مظاهره"¹².

3.3. خصائصها:

1.3.3. الطابع الساخر:

تُعدّ السخرية أبرز سمات المنامات، حيث يتخذ الكاتب الحلم وسيلة لتقويض الأوضاع المنحرفة بأسلوب تهكمي يُضحك القارئ ليوقظه. تظهر السخرية بصورة خاصة في تصوير رجال الدين والسلطة ونقد المجتمع ونفاقه، من خلال مفارقات لغوية ومواقف عبثية تبرز وعياً بالفساد الأخلاقي والسياسي¹³.

2.3.3. الطابع الإصلاحية:

تحمل المنامات خلف السخرية نزعة إصلاحية واضحة؛ فالكاتب ينتقد ليصلح لا ليضحك فقط. يُقدّم الوهراني عبر رؤاه دروساً أخلاقية، ويشير إلى ضرورة العودة إلى القيم الأصيلة. ويكمن الفرق بين المنامة والموعظة في ثوب الفن والخيال الذي ترتديه المنامة¹⁴.

3.3.3. الأسلوب اللغوي:

يمزج أسلوب المنامات بين البلاغة الكلاسيكية والروح القصصية الحديثة؛ يستخدم الوهراني السجع والجناس والطباق، والتضمين القرآني، والتراكيب الخطابية، واللغة الساخرة. تجمع اللغة بين الجزالة والتهكم، وبين فخامة البيان ومرونة الحكاية¹⁵.

4.3.3. الموضوع والمضمون:

تتمحور منامات الوهراني حول قضايا الإنسان والمجتمع: فساد السلطة، نفاق العلماء، زيف المتزهدين، وانحطاط القيم. تعكس المنامة وعي الكاتب بأزمة الإنسان، وتحاول البحث عن نموذج إصلاحي بديل مؤسس على المعرفة والعدل.

5.3.3. البنية السردية:

تقوم المنامة على بنية حلمية تبدأ بعبارة «فرأى فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت...»¹⁶، وتتطور بعرض رمزي للحكايات والمواقف وتنتهي بعبارة أخلاقية، فالراوي عليم، والزمن متحول، والشخصيات رمزية، والنهاية تحمل مغزى أخلاقياً أو سياسياً.

6.3.3. انعكاس واقع الكاتب في المنامة:

تعكس منامات الوهراني وعيه المغترب وسخطه على عصره، وإيمانه بالعجز في تحقيق الحق، وتجسد اغترابه بين حلم الإصلاح وواقع الفساد، وبين الانتماء والمنفى¹⁷.

7.3.3. علاقة المنامة بالمقامة:

تتصل المنامة بفن المقامة في كثير من الخصائص الأسلوبية كالسخرية، واستخدام الحوار، والبنية السردية، لكنها تتميز عنها ببنية الحلم وانفتاحها على الغرابة والعجائبية¹⁸، وتلجأ إلى تصوير الواقع عبر فضاء متخيل مُتحرر من الضوابط. واتخذت المنامة من روح المقامة أداة، واعتمدت السجع والفكاهة والهزل مطية، لكنها تجاوزتها لتصنع عالماً من الحلم يُمكنها من تجاوز الرقيب، وإسقاط النقد الاجتماعي والسياسي.

قال صالح: "فجعل لها هيكلًا حكاياتيًا مشابهاً، إلا أنه منحها طابع الحلم وحرية السرد فكانت المناماة أداة لانتقاد أحوال عصره في صورة حلم"¹⁹.

4. أشهر منامات الوهراني وتحليل مضامينها:

يُمثل فنّ المناماة عند الوهراني واحدًا من أهم الأجناس السردية التي أفصح من خلالها عن رؤيته النقدية ذات البعد الإصلاحي الساخر؛ إذ يُعدّ "المنام الكبير" أبرز هذه المنامات وأطولها (44 صفحة)، لما انطوى عليه من بناء تخيلي يجمع بين النقد الاجتماعي والفكر الإصلاحي، ضمن أسلوب رمزي يتأرجح بين الجدية والهزل. وقد استهلّ الوهراني منامته بمشهد قيام الساعة، بقوله: «فرأى فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت...»، ليدخل القارئ في فضاء أخروي تُعرض فيه أفعال البشر وتُحاسب، متخذًا من هذا الإطار الرمزي منبرًا لفضح اختلالات الواقع الديني والاجتماعي والسياسي. وفي هذا السياق، قدّم صورًا تهكمية لعلماء متواطئين، وقضاة فاسدين، ووعاظ منافقين، كاشفًا زيف ممارساتهم وتهافتهم على السلطة والمناصب تحت غطاء الخطاب الديني.²⁰

وهكذا تحوّلت مشاهد القيامة في «المنام الكبير» إلى مرآة رمزية تعكس فساد القيم السائدة، وتؤكد البعد الوعظي الإصلاحي للنص، حيث تمتزج السخرية بالدعوة الأخلاقية إلى تطهير المجتمع من النفاق والظلم، وقد نبّه بلحرمة إلى هذا البعد حين رأى أن "سخرية الوهراني نابعة من الحس النقدي لديه إذ هو يسخر بهدف الإصلاح ليصبح فن السخرية في قمة الأعمال الإيجابية..²¹ ويتعرّز هذا المنحى الإصلاحي بما يتخلل النص من تقنيات فنية محكمة، كتكثيف الحوار، وبناء المفارقة، واستثمار الرموز الدينية، بما يمنح النص كثافة دلالية وثراءً تأويليًا مفتوحًا على قراءات متعددة.

5. القيم الأدبية والاجتماعية والتاريخية لفن المناماة في الأدب العربي:

تمثل المناماة إضافة نوعية إلى السرد العربي في بنيتها وفلسفتها ووظيفتها؛ إذ تبوّأت مكانة رفيعة على المستويات الأدبية، والاجتماعية، والتاريخية على حد سواء.

1.5. القيمة الأدبية:

رفدت المناماة الأدب العربي بطاقة جديدة في التخيل، والمزج بين السخرية والرمز والحلم. أعادت رسم حدود السرد بين الواقعي والمتخيل، وابتكرت أساليب جديدة في الحوار والبنية السردية (الإيجاز، تدوير الأصوات، النثر المسجوع)، وعززت من اتساع دائرة الرموز والتناص مع نصوص تراثية ودينية وأدب الرؤيا العالمي، ودفعت باتجاه أشكال "النص المفتوح" الذي يضع القارئ أمام قراءات متعددة ويضاعف متعته الفكرية والجمالية.²²

2.5. القيمة الاجتماعية:

وفرت المنامة مرآة فنية حادة لعرض عيوب المجتمع العربي الإسلامي في العصر الوسيط؛ إذ كشفت عن أزمت الطبقات الدنيا، وفضحت فساد السلطة والنخب الدينية والاجتماعية، وشاركت في انتقاد الانتهازية والرياء، وتسليط الضوء على المهمشين وغرباء المدينة. بهذا جعلت المنامة من الأدب أداة إصلاح اجتماعي غير مباشر ودعوة للتغيير وتحويل السخرية إلى وعي جمعي²³.

3.5. القيمة التاريخية:

تجاوز أثر المنامة حدود الأدب، فباتت توثيقاً حياً لحياة المجتمعات: الفوارق الطبقيّة والشخص، الهواجس السياسية والدينية، أزمة السلطة، الأدوار المتحولة للفقيه والزاهد والمثقف. سجلت المنامة صوراً لمجتمع قلما يلتقطه التاريخ الرسمي أو الشعر التقليدي، فغدت مرجعاً لفهم الذهنية والسلوك والعلاقات اليومية²⁴.

وهكذا تُعدّ المنامة وثيقة مزدوجة؛ فهي نص أدبي إبداعي يُقرأ من منظور جمالي، وفي الوقت نفسه مصدر مهم للدراسة الاجتماعية والتاريخية. وهذا يفسّر اهتمام النقاد العرب المعاصرين بها.

6. الوهراني وسابقوه المعري وابن شهيد:

لا يمكن فهم تجربة الوهراني الفنية والفكرية بمعزل عن سياقها التراثي الذي تبلورت فيه، فقد نهل من إبداع أعلام سابقين في السرد الرمزي والفكر النقدي، وعلى رأسهم أبو العلاء المعري وابن شهيد الأندلسي، إذ أثر كل منهما في انتقال الأدب العربي من المباشر إلى الرمز والفكاهة والرؤيا التأملية، الأمر الذي أتاح تطوّر الكتابة المنامية في بعدها الفلسفي والنقدي.

1.6. الوهراني والمعري

1.1.6. وحدة المنزع التأملي والرمزي:

يشترك الوهراني مع المعري في النزعة التأملية وتوظيف العالم الآخر (الآخرة أو الحلم) فضاءً للنقاش الفلسفي والأخلاقي. فقد كانت "رسالة الغفران" للمعري منطلقاً لرحلة خيالية في الآخرة تقيم محاكمة فكرية للأدباء، وقد التقط الوهراني ذات التقنية ليحوّل المنام إلى مسرح لمحاكمة الفقهاء والقضاة والأطباء والولاة، وينقل عناصر الرؤيا والرمز إلى تجربته الخاصة، وقد أشار الصفدي (ت 764 هـ) إلى هذا التقاطع بقوله: "والمنام الذي عمله سلك فيه مسلك أبي العلاء المعري في رسالة الغفران لكنه ألطف مقصداً وأعذب عبارة"²⁵. وذهبت الأستاذة عطية إلى أن استلهم الوهراني لفكرة العالم الآخر لا يقوم على محاكاة شكلية، بل على إعادة توظيف خلاقة تجعل الفضاء الأخروي أداة نقدية تتجاوز التأمل الفلسفي إلى تقويم الواقع الاجتماعي؛ وبذلك يغدو العالم الآخر عندهما بنيةً فنيةً مشتركة، غير أن غاياتها الدلالية تتمايز بحسب الرؤية الفكرية لكل منهما²⁶.

2.1.6. البعد الساخر والنقد الأخلاقي:

تتقاطع تجربة المعري مع تجربة الوهراني في توظيف السخرية أداةً نقدية، غير أنّ وجهتها تختلف بينهما؛ فسخرية المعري ذات طابع فلسفي زُهدي تعكس نزعة اغتراب وتأمّل وجودي في مصير الإنسان وأوهامه، بينما تتجه سخرية الوهراني نحو البعد الاجتماعي الإصلاحية، إذ تتحول إلى خطاب احتجاجي يسائل الواقع وينتقد مظاهر الفساد والسلطة الدينية والسياسية، فتغدو أداة تقويم عملي أكثر منها تعبيراً عن عزلة فكرية.²⁷

3.1.6. البناء الفني والرحلة الأخروية:

يتجلى تأثر منامات الوهراني ببنية "الرحلة الأخروية" في رسالة الغفران، حيث تبدأ الرحلة من الواقع وتنتهي بعبارة بعد المرور بعوالم رمزية، غير أن الوهراني يطوّرها بأسلوب ساخر مختزل لا ينحو منحى المعري الوجودي بل يبتغي وعظ المجتمع.

2.6. الوهراني وابن شهيد**1.2.6. من التخييل الأدبي إلى السرد الرمزي:**

استلهم الوهراني من ابن شهيد الأندلسي في "التوابع والزوابع" المزج بين التخييل الأدبي والنقد الرمزي؛ حيث تخيل ابن شهيد دخوله عالم الجن ليحاور شعراءهم، بينما نقل الوهراني هذا الخيال إلى مناماته لينقد من خلاله المجتمع وليس للترف الأدبي فقط.²⁸

2.2.6. النزعة الهزلية وروح الفكاهة:

ربط النقاد بين "الفكاهة النقدية" عند الوهراني وابن شهيد، إلا أن ابن شهيد يوظفها للنقد الذاتي والمزايدة الأدبية، في حين يكتفها الوهراني وسيلة لتقويض الزيف الاجتماعي والديني في عصره.

3.2.6. البناء الحوارية والمشهد المسرحي:

تتسم نصوص الثلاثة بأسلوب الحوارات الرمزية والمشاهد المسرحية؛ حوار الراوي مع الجن (ابن شهيد) أو مع شخصيات رمزية وأخرية (الوهراني)، مما يكشف بؤادر نزعة درامية وسردية حديثة في الأدب العربي الوسيط.

خلاصة:

يتبين من المقارنة أنّ الوهراني وريثٌ لتيارين أدبيين كبيرين:

• التيار الفلسفي الرمزي الذي أسسه المعري، حيث تتجلى الرؤيا في شكل رحلة أخروية ذات

دلالة فكرية.

• والتيار التخيلي الهزلي الذي دشّنه ابن شهيد، حيث يتحوّل الخيال إلى وسيلة للنقد عبر

الفكاهة والحوار.

وقد جمع الوهراني بينهما في صيغة جديدة هي المنامة، فجعل منها جنسًا أدبيًا مركّبًا يجمع السخرية، والرمز، والنقد الاجتماعي، والرؤيا الأخلاقية، لتصبح مناماته شاهدًا على نضج الأدب الجزائري الوسيط واستقلاله عن النموذج المشرقي.

7. الوهراني ولاحقوه من الأوروبيين (تندال ودانتي):

1.7. الإطار العام للمقارنة:

ينتمي كل من محمد بن محرز الوهراني في القرن السادس الهجري، وتندال في رؤياه اللاتينية، ودانتي في الكوميديا الإلهية إلى فضاء فكري واحد هو أدب الرؤيا، الذي يوظف الحلم أو الرحلة الأخروية وسيلة للنقد الاجتماعي والإصلاح الديني. تتشابه هذه النصوص الثلاثة في المقاصد الأخلاقية والبنية الرمزية ورؤية العالم الآخر، لكنها تختلف في المنطلق الحضاري واللغة والتصور الديني.

2.7. البنية الرؤيوية والرحلة الأخروية:

تظهر الرحلة بين العوالم الأخرى عند الثلاثة بطرائق متنوعة:

• دانتي ينطلق في رحلة شعورية وفلسفية بين الجحيم والمطهر والفردوس برفقة فرجيل، مقدمًا أطوارًا رؤيوية تُحاكم القيم الدينية والأخلاقية عبر بناء شعري عميق.

• تندال يروي بعثه في الحلم ليرى الجنة والنار والعقاب، يركز على الترهيب الأخروي والصور الحسية للجحيم والفردوس.

• الوهراني يعتمد إطار الحلم بلسان راوٍ ساخر، ينقل فيه مواقف رمزية تقضح فساد السلطة والدين، فتزاج مناماته بين مشاهد دنيوية ودينية وسلطة نقدية ساخرة.

3.7. الرمزية والأسلوب الفني:

يميز الوهراني الرمز الاجتماعي القريب من الواقع، فيعري العلماء والولاة بمواقف تهكمية تزاج السخرية بالحكمة، بينما يجنح تندال إلى رموز أخروية حسية، ويعتمد دانتي رمزية فلسفية ولاهوتية عميقة.

4.7. الرؤية الفكرية والغاية الإصلاحية:

الوهراني يدافع عن الإصلاح الديني والاجتماعي من خلال مواجهة الرياء والنفاق بفن المنام الساخر، في حين يدافع دانتي عن العقيدة الكاثوليكية ويقدم رؤية خلاصية فلسفية، أما تندال فيركز على الرؤية الدينية التربوية للردع والوعظ.

5.7. القيمة الفنية والفكرية المشتركة:

يجمع الثلاثة توحيد الواقع والرؤيا، ونقد الفساد الديني والاجتماعي، وهدفهم الإصلاح الروحي والأخلاقي لا المتعة الجمالية فقط، ويبرز عندهم جميعاً توظيف الرمز بدل الخطاب المباشر.

6.7. موقع الوهراني في الامتداد الحضاري:

الوهراني يمثل في الثقافة العربية حلقة رؤيوية إصلاحية متقدمة زمنًا وفكرًا، تشكلت موازية لأدب الرؤيا الأوروبي؛ إذ أرسى منطق الحلم كمرآة للواقع الفاسد في إطار إصلاحي ساخر، وهو بذلك يسبق تتدال ودانتي في وعيه النقدي ولغته الساخرة، فيما تميز دانتي بالشعرية والرمز الفلسفي.

خلاصة:

تكشف المقارنة عن تواصل حضاري ضماني بين الشرق والغرب؛ فالمنام والرؤيا في الأدب العربي والأوروبي يُوظفان لكشف فساد العصر والسعي إلى الخلاص عبر الرمز والخيال.

8. تطور فن المنامة وأثره في الأدب العربي الحديث:

شهد فن المنامة بعد عصر الوهراني تطورات نوعية جعلته حاضرًا، بشكل مباشر أو غير مباشر، في السرد العربي الحديث. فقد انتقلت البنية الحلمية ونموذج الرؤيا الساخرة إلى القصة القصيرة والرواية والمسرح عند كتاب العصر الحديث، ليصبح الحلم فضاءً مركزيًا للهروب من الرقابة وكشف الأزمات والاحتجاج الجماعي.

وهذه الآلية الفنية، القائمة على تداخل الواقعي والتمثيل وتوظيف السخرية النقدية، نجد صداها في المسرح الذهني عند توفيق الحكيم، حيث يتحول الزمن المفارق إلى أداة مساءلة فكرية²⁹، كما تتجلى في البنية الرمزية المكثفة في بعض نصوص نجيب محفوظ، ولا سيما في «أحلام فترة النقاها»³⁰. ويظهر الامتداد كذلك في المسرح السياسي الرمزي عند سعد الله ونوس، حيث تُسخر السخرية والتغريب لفضح البنية السلطوية³¹. ومن ثمّ، يمكن القول إن منامات الوهراني تمثل نواة مبكرة لتقليد سردي عربي حديث يوظف التخيلي والرمزي أداةً للنقد والإصلاح.

وتفسر هذه العودة المستمرة لفن الرؤيا/المنامة اهتمام الأدباء والنقاد المعاصرين بصيغ السرد المفتوح والرؤيوي باعتباره حقلاً لتجريب المعنى وتحويل الأدب إلى ملاذ فكري وفني مفتوح الاحتمالات.

9. الدراسات النقدية حول فن المنامة:

1.9. المناهج النقدية المطبقة:

خضعت منامات الوهراني لدراسات نقدية متعددة اعتمدت مناهج متنوعة، أبرزها:

1.1.9. المنهج السيميائي:

طبّقه ضيف الله الصافي في دراسته "سيمائية المنام الكبير للوهراني"، حيث "كشف الرموز المستترة وراء الشخصيات والمواقف في المنام الكبير للوهراني، وأبرز اشتغال العلامة والدلالة"³².

2.1.9. المنهج التداولي:

عالم سليم سعدلي في بحث "مقاربة تداولية في التراث الأدبي الجزائري: منامات الوهراني أنموذجاً" وظائف الخطاب الحجاجية والعقدية والتثقيفية، وقال: "أظهرت الدراسة كيف توظف منامات الوهراني اللغة لتحقيق أهداف حجاجية وتثقيفية إلى جانب التعريض والنقد"³³.

3.1.9. المنهج البنيوي:

حلّ صالح محمد بنية الشخصية والزمان والمكان بمنهج بنيوي في رسالته الجامعية "البنية السردية للمقامة في الأدب الجزائري القديم: منامات ابن محرز الوهراني أنموذجاً"³⁴، وأشار فيها إلى أنّ "البنية السردية في منامات الوهراني قائمة على تداخل الأزمنة، وتقاطع الأصوات الساردة، وتعدد مستويات الخطاب"³⁵.

4.1.9. المنهج الوصفي والاجتماعي:

درس بلحرمة يوسف في بحثه "السخرية ودورها الإصلاحي في منامات الوهراني ومقاماته" حضور السخرية كقيمة اجتماعية بارزة في المنامة، وخلص إلى أنّ "السخرية عند الوهراني ليست ظاهرة أدبية خالصة، بل وسيلة لإثبات الحضور الاجتماعي والدعوة للإصلاح"³⁶.

2.9. قضايا نقدية مثارة حول منامات الوهراني:

1.2.9. التصنيف الجنسي:

هناك جدل حول ما إذا كانت المنامة جنساً أدبياً مستقلاً، أم نوعاً فرعياً من المقامة، أم أنموذجاً للمسرح العربي التراثي الساخر، أم مزيجاً بين عدة أجناس³⁷.

وأنا مع من يرى أنّ المنامة تطورت لتكوّن جنساً أدبياً قائماً بذاته، وليست مجرد فرع من المقامة أو مزيجاً أجناسياً؛ لأن لها خصائص سردية مميزة (الإطار الحلم، الرموز، الحوار، تعدد الأصوات)، وموضوعات تختلف عن المقامة التقليدية، إذ تتراوح بين النقد والنبوءة، والتخييل والرؤيا، وبنيتها درامية تتحرر من السرد القصصي الخطّي. ويدعمني في هذا الرأي ثلاثة باحثين:

• رشيد علاء الدين بقوله: "وظهرت أشكال سردية جديدة، منها فن المنامات الذي يعدّ لونا أدبياً له طابعه المستقل المتميز من الألوان النثرية الأخرى"³⁸.

• بلحرمة يوسف بقوله: "لقد تبلورت المنامات في شكلها مع الوهراني كجنس أدبي مستقل، استمد ملامحه من الحلم والرؤيا والسخرية والرمز، إذ اختلفت عن المقامة والنثر التقليدي في المنطلق والبنية والوظيفة"³⁹.

• وضيف الله الصافي بقوله: "تعد المنامات جنسًا أدبيًا خاصًا ومستقلًا، تجاوز قيود المقامة وحرر السرد من النمطية، إذ جمعت بين الحلم والخطاب النقدي والفني في شكل جديد"⁴⁰.

2.2.9. القيمة الأخلاقية:

تساءل النقاد عن القيمة الأخلاقية لفن المنامات: هل هو أدب راقٍ أم "أدب المجون والخلاعة" كما وصفه الصفدي⁴¹؟ نقل صالح محمد التساؤل حول "ما إذا كانت منامات الوهراني نصوصًا هادفة أم مجرد لون أدبي يدور في فلك المجون والهزل"⁴².

وأنا مع من يرى أن فن المنامات رغم ما يتضمنه من سخرية وهزل وجراة نقدية، إلا أن جوهره أدب راقٍ يسعى للإصلاح، ولا يقدم المجون أو الخلاعة هدفًا في ذاته، فالسخرية في منامات الوهراني ليست تهكمًا عابثًا، بل أداة إصلاحية وتربوية تهدف إلى فضح الفساد والتقويم الأخلاقي للمجتمع، ولهذا يكتسب الفن مكانة عالية بين أجناس الأدب النقدي والإصلاحي، وقد أستعين هنا بقولين اثنين:

• الأول لصالح محمد: "تمكنت المنامات من الحفاظ على بعد أخلاقي واضح رغم الطابع

الهزلي والسخرية اللاذعة، فهي تسعى إلى الإصلاح والتوجيه من خلال طرح قضايا المجتمع ونقد الانحرافات"⁴³.

• والآخر لبلحرمة يوسف: "السخرية في منامات الوهراني ليست سخرية مجانية أو عبثية، بل

تحمل رسالة إصلاحية وتوجهًا تربويًا يهدف إلى كشف زيف المجتمع والدعوة إلى الفضيلة"⁴⁴.

3.2.9. الوظيفة الأدبية:

تعد وظيفة المنامات موضع جدل: هل غايتها الترفيه أم النقد والإصلاح الاجتماعي؟ ويفصل سعدلي في هذا السؤال، ويقول: "يتردد الخطاب في المنام بين غاية الإمتاع ومطلب الإصلاح في آن"⁴⁵.

4.2.9. الأصالة والتأثر:

تثار التساؤلات حول مدى تأثر الوهراني برسالة الغفران للمعري، وهل استطاع ابتكار شكل أدبي مستقل؟ والجواب: نعم، تمثل المنامات عند الوهراني شكلًا أدبيًا مبتكرًا قائمًا بذاته، يختلف عن النصوص الواقعية أو المقامات التقليدية، ويجمع بين الإبداع الفني، النقد الاجتماعي، والفكر الإصلاحي، قال بلحرمة: "رغم وضوح تأثر الوهراني برسالة الغفران، نجح في أن يمنح المنامات طابعًا مستقلًا وأسلوبًا مغايرًا"⁴⁶.

10. خاتمة

تشهد دراسة فن المنامة في الأدب العربي على حيوية الإبداع السردي وقدرته على التجدد ومساءلة المجتمع بعين ناقدة وإن كانت ساخرة. فقد جمع هذا الفن بين عمق الرؤية وجمال الإنشاء، وبين الإمتاع والإصلاح، ليصوغ نصًا مركبًا يتجاوز حدود الزمن والمكان، ويستوعب أسئلة الإنسان في شتى أبعاده. أظهرت منامات الوهراني، في خضم السياق التاريخي والاجتماعي المضطرب للقرن السادس الهجري، قدرة الأدب العربي على ابتكار أشكال جديدة تحتفي بالحلم والرؤيا، وتمنح الهامش صوتًا، وتحتضن القلق الاجتماعي والاحتجاج على الفساد. وقد تفاعلت المنامة مع نصوص كبرى كالمقامة ورسالة الغفران، لكنها استطاعت أن تدرج خصوصيتها بما قدمته من جرأة رمزية وبنية فنية فريدة. وأثارت المنامة قضايا نقدية متشعبة: الاصطلاح الأجناسي، القيمة الأخلاقية، الوظيفة الأدبية، التفاعل مع التراث والتناص، والمركزية الاجتماعية للمهمشين. وهي بذلك تعمق من قدرة الأدب العربي على كشف المعنى الخفي وصياغة خطاب توعوي ساخر لا يقل عن الأدب الفلسفي والجدلي. لقد تطور فن المنامة عبر القرون، وأثر بعمق في السرد الحديث، لتنتفتح الرؤيا الحلمية على آفاق القصة والرواية والمسرح، حتى غدت المنامة تجسيدًا لتداخل التراث بالحدث، ورمزًا لإمكانات الإصلاح الفكري والجمالي والاجتماعي في الثقافة العربية. وهذا ما يكرس ديمومة المنامة كفن أدبي حي يتخطى حدود التسلية والتجريب إلى مساءلة الضمير الجمعي وتحفيز التحول الثقافي العميق.

11. الهوامش:

- ¹ طالبي، عمار، الأدب الجزائري القديم: تطوره وقيمه الإنسانية، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، (1990)، ص 112-115.
- ² ابن خلكان، شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (1978)، 6/102.
- ³ الوهراني، محمد، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق شعلان إبراهيم ومحمد نغش، منشورات الجمل، لبنان، (1968)، ص 5-7.
- ⁴ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 6/102.
- ⁵ شرف، عبد العزيز، أدبيات الأدب الفكاهي، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، القاهرة، (1992)، ص 13.
- ⁶ المنصوري، جريدي، الأحلام والتفكير الرمزي - علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، مج 11، ع 44، (2002)، ص 658 - 659.

- ⁷ نغموش، محمد، آثار الوهراني، الدار العربية للكتاب، تونس، (1984)، ص 21-31.
- ⁸ ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، تحقيق تدمري عمر، دار الكتاب العربي، لبنان، 1997، 277-275/10.
- ⁹ بلحرمة، يوسف، السخرية ودورها الإصلاحي في منامات الوهراني ومقاماته، مجلة المرتقى، المجلد 5، العدد 1، (2022)، ص 137.
- ¹⁰ نغموش، آثار الوهراني، ص 21-31.
- ¹¹ مرتاض، عبد الملك، فن المقامات في الأدب العربي: بديع الزمان الهمذاني نموذجاً، الدار التونسية للنشر، تونس، (1988)، ص. 218-214.
- ¹² صالح، محمد، موضوعات السرد في منامات الوهراني - قراءة وصفية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد 5، العدد 9، (2020)، ص 487-469.
- ¹³ بن الشيخ، جمال الدين، الضحك والسخرية في الأدب العربي الوسيط، دار الطليعة، بيروت، (1995)، ص 61-70.
- ¹⁴ طيباوي، أحمد، السخرية وأساليبها في أدب ابن محرز الوهراني، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة الجلفة، (2015)، ص 94-95.
- ¹⁵ قيبوح، عبد العزيز، شعرية السرد في منامات الوهراني، منتدى الأستاذ، المجلد 17، ع 01، ص 300-314، (2021)، ص 304.
- ¹⁶ الوهراني، منامات الوهراني، ص 23.
- ¹⁷ نغموش، آثار الوهراني، ص 52.
- ¹⁸ أبو ديب، كمال، الأدب العجائبي والعلم الغرائبي، دار الساقى، بيروت، (2007)، ص 8.
- ¹⁹ صالح، محمد، موضوعات السرد في منامات الوهراني - قراءة وصفية، مجلة الأصالة، المجلد 9، ع 5، ص 487-469، (2020)، ص. 472-471.
- ²⁰ زيقم، مداني، منامات ركن الدين بن محرز والوهراني من القالب السائد إلى السرد المختلف، مج 28، ع 11، (2020)، ص 146 - 149.
- ²¹ بلحرمة، السخرية ودورها الإصلاحي، ص 133.
- ²² مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، ص. 218-215.
- ²³ بلحرمة، السخرية ودورها الإصلاحي، ص 133.
- ²⁴ صالح، موضوعات السرد في منامات الوهراني، ص. 474-473.

- ²⁵ الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، (2000)، ج4، ص273-274.
- ²⁶ عطية، فاطمة الزهراء، الوهراني اللانذ بالعالم الآخر، ع 16، ص 419 - 430، (2014)، ص 425.
- ²⁷ طيباوي، السخرية وأساليبها، ص71-75.
- ²⁸ بوحلاسي والحطابي، مقامات ابن محرز الوهراني دراسة في البنية والأسلوب، (2017)، ص52-55.
- ²⁹ الحكيم، توفيق، أهل الكهف، القاهرة، مكتبة مصر، (د.ت)، ص 5 وما بعدها.
- ³⁰ محفوظ، نجيب، أحلام فترة النقاها، القاهرة، دار الشروق، 2004، ص 7-15.
- ³¹ ونوس، سعد الله، الأعمال الكاملة، بيروت، دار الآداب، 1996، ج 2، ص 45 وما بعدها.
- ³² ضيف الله، سيمائية المنام الكبير للوهراني، مجلة اللغة العربية، مج26، ع 67، ص 191-218، (2024)، ص195.
- ³³ سعدلي، سليم، مقارنة تداولية في التراث الأدبي الجزائري: منامات الوهراني أنموذجاً، مجلة التواصل، مج5، ع4، ص 191-218، (2014)، ص75.
- ³⁴ صالح، محمد، البنية السردية للمقامة في الأدب الجزائري القديم: منامات ابن محرز الوهراني أنموذجاً، تيسميسيلت. (2022)،
- ³⁵ المرجع السابق، ص88.
- ³⁶ بلحرمة، السخرية ودورها الإصلاحي، ص134.
- ³⁷ شلار وتمورتاش، شخصيات الوهراني في منامه الكبير بين النقد والسخرية، موقع Dergipark NÜSHA (مجلة علمية إلكترونية)، ع 53، (2022)، ص418.
- ³⁸ رشيد، علاء الدين، المنامات لون نثري في الأدب العربي - دراسة في المنام الكبير للوهراني، مجلة جامعة تكريت، العراق، مج 19، ع 7، ص 323 - 345، (2012)، ص 325.
- ³⁹ بلحرمة، السخرية ودورها الإصلاحي، ص136.
- ⁴⁰ ضيف الله، سيمائية المنام الكبير للوهراني، ص193.
- ⁴¹ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص275.
- ⁴² صالح، البنية السردية للمقامة، ص91.
- ⁴³ المرجع السابق، ص91.
- ⁴⁴ بلحرمة، السخرية ودورها الإصلاحي، ص134.

⁴⁵ سعدلي، مقارنة تداولية في التراث الأدبي الجزائري: منامات الوهراني أنموذجاً، مجلة التواصل، مج5، ع4، (2014)، ص79.

⁴⁶ بلحرمة، السخرية ودورها الإصلاحي، ص136.

12. قائمة المصادر والمراجع

1. أبو ديب، كمال، الأدب العجائبي والعلم الغرائبي، دار الساقى، بيروت، 2007.
 2. ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، تحقيق تدمري عمر، دار الكتاب العربي، لبنان، (1997).
 3. بن الشيخ، جمال الدين، الضحك والسخرية في الأدب العربي الوسيط، دار الطليعة، بيروت، (1995).
 4. الحكيم، توفيق، أهل الكهف، مكتبة مصر، القاهرة، (د.ت.).
 5. ابن خلكان، شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (1978).
 6. شرف، عبد العزيز، أدبيات الأدب الفكاهي، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، القاهرة، (1992).
 7. الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، 2000.
 8. طالبي، عمار، الأدب الجزائري القديم: تطوره وقيمه الإنسانية، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، 1990.
 9. محفوظ، نجيب، أحلام فترة النقاها، دار الشروق، القاهرة، (2004).
 10. مرتاض، عبد الملك، فن المقامات في الأدب العربي: بديع الزمان الهمذاني نموذجاً، دار التونسية للنشر، تونس، (1988).
 11. نغموش، محمد، آثار الوهراني (ص21-31). الدار العربية للكتاب، تونس، (1984).
 12. ونوس، سعد الله، الأعمال الكاملة، دار الآداب، بيروت، (1996).
 13. الوهراني، محمد، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش، دار الكتاب العربي، القاهرة، (1968).
- الأطروحات:

14. بوحلاسي، جلييلة والحطابي، سامية، مقامات ابن محرز الوهراني دراسة في البنية والأسلوب، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أم البواقي، (2017).
15. صالح، محمد، البنية السردية للمقامة في الأدب الجزائري القديم: مقامات ابن محرز الوهراني أنموذجاً، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة تيسمسيلت، (2022).
16. طيباوي، أحمد، السخرية وأساليبها في أدب ابن محرز الوهراني، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة الجلفة، (2015).

المقالات:

17. بلحرمة، يوسف، السخرية ودورها الإصلاحي في مقامات الوهراني ومقاماته، مجلة المرتقى، مج5، ع 1، ص 133-137؛ (2022).
18. رشيد، علاء الدين، المنامات لون نثري في الأدب العربي - دراسة في المنام الكبير للوهراني، مجلة جامعة تكريت، العراق، مج 19، ع 7، ص 323-345؛ (2012).
19. زيقم، مداني، مقامات ركن الدين بن محرز والوهراني من القالب السائد إلى السرد المختلف، مج 28، ع 11، ص 143-155؛ (2020).
20. سعدلي، سليم، مقارنة تداولية في التراث الأدبي الجزائري: مقامات الوهراني أنموذجاً، مجلة التواصل، مج5، ع4، ص 191-218؛ (2014).
21. شلار، عبد الرحمن، وتمورتاش، عبد الهادي، شخصيات الوهراني في منامه الكبير بين النقد والسخرية، موقع NÜSHA، Dergipark (مجلة علمية إلكترونية)، ع 53، ص 413-436؛ (2022).
22. صالح، محمد، موضوعات السرد في مقامات الوهراني - قراءة وصفية، مجلة الأصالة، المجلد 9، ع5، ص 469-487؛ (2020).
23. ضيف الله، الصافي، سيمائية المنام الكبير للوهراني، مجلة اللغة العربية، مج26، ع 67، ص 191-218؛ (2024).
24. عطية فاطمة الزهراء، الوهراني اللائذ بالعالم الآخر، ع 16، ص 419-430؛ (2014).
25. قبيوج، عبد العزيز، شعرية السرد في مقامات الوهراني، منتدى الأستاذ، المجلد 17، ع01، ص 300-314؛ (2021).
26. المنصوري، جريدي، الأحلام والتفكير الرمزي - علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، مج 11، ع 44، ص 658-673؛ (2002).

